حـــــديث الرمزية

للدكتور بشر فارس

حديث يأبى أن ينقطع سلكه ، إلاّ أنه منزّه عن الفضول واللغو لطرافته ثم لتنوع مستطرداته . ووراء الأمر ظاهرتان : الأولى انجذاب نخبة من الأدباء والقراء إلى الجديد كأنهم يفطنون أن أعواد بعض أساليب الإنشاء القائمة الآن قد شظفت أى شظف حتى إنها أمست تعجز عن حمل الثمر ؛ أو كأنهم يلمحون فى المذهب الرمزى بما قرأوا عنه — قلّ أو كثر — أداة فيها ما فيها من المتانة والاستقامة ، وإن بدت ضرباً من ضروب الافلات من قيود المنطق « الجليل » صاحب السلطان الأعلى فى التأليف والتفكير . وأما الظاهرة الثانية فاستعداد القراء لتفهُّم مذهب لا يكاد يتصل بما ألفوه من الأدب العربى الحديث ، فكلنا نشأ على قراءة التهزُّل الموضوعى عند المويلحى ، والتصنع اللفظي عند البكرى ، والابتداعية (romantisme حسب ترجمة الأستاذ الزيات) المفرطة حتى الازعاج عند المنفلوطى . ثم قامت بعد ذلك طرائق ، فكانت الطريقة التحليلية الواقعية فى مصر ، والطريقة التخيُّلية فى المهجر

والظاهرتان دلالة على ارتجاج الذهنية الاتباعية ، وشهادة لارتقاء شأن الاستحداث المطّرد في الأدب . فأبْشِرْ بهما !

* * *

يقول الأديب الفاضل السيد كامل الشرقاوى فى الرسالة (رقم ٢٥٨ — البريد الأدبى) « والرمزية — بعد — فى الأدب العربى (المستحدث) فى أول الطريق ، فالحديث ذو شجون ولازم على من يشقّون ويوسّعون الطريق لما فيه أن يطيلوا الكلام والابانة عنها للسالكين . وما أحرى الدكتور بشر فى هذا المقام . . . أن يوالى مجلة الرسالة الغراء بمقالاته . . . عن الرمزية يوضح طرائقها ويترجم لزعمائها وقادتها ومدارسها منذ نشأتها إلى الآن توطئة لتأليف رسالة عنها بقلمه . . . »

إني أشكر للأديب الفاضل رقة كلامه وحسن ظنه بى . غير أنى أرى غير رأيه . فالذى عندى أن المنشئ المنصرف إلى الاستحداث فى التأليف يُخرج ما يُخرج ثم يقبل النقاد ينظرون فيه ، ويُطلعون القراء على خصائصه ، ويدنون لهم طريقته إن هي بعدت عما خبروه ، ويسوقون لهم قصتها ، ثم يبرزون لهم انحراف المنشئ من هنا وهناك عن تلك الطريقة إن هو قدر على أن يدسّ فيما يكتب ما يشف عن شخصيته . هذا وإن ظفر إنشاؤه بالقبول وجدرت العناية بطريقته ، قام العلماء بتاريخ الأدب والمنقطعون للبحث فى فنونه وأساليبه يؤلفون المقالات والرسائل ، فيدفعون إلى القراء ما غاب عنهم ، ويبذلون لهم ما أشكل عليهم

والذى جرى للرمزية أنى ألّفت مسرحية على طريقتها مع شيء من الاستقلال بما نفسى إليه ترفّ وقلمى له ينساق ، ثم جاء النقاد فأحست فئة منهم بغرابة الطريقة عن أذهان قراء العربية ؛ فاستهل الأستاذ صديق شيبوب النقد بالكتابة فى الرمزية (جريدة البصير) ، وأردف الأستاذ الفنان زكى طليمات النقد ببحث لطيف فيها قائم برأسه (مجلة الرسالة) ، ونشر الأستاذ أبو شهلا التوطئة التى عملتها للمسرحية ذهاباً منه أنها وافية (مجلة الجمهور البيروتية) ، ونوّه بشأن هذه التوطئة الأستاذ الأب الكرملى والأستاذ الصيرفى (فى المقتطف) والدكتور زكى حسن (فى الأهرام) والأستاذ كامل محمود حبيب (فى المقطم) والأستاذ ادجار جلاد فى (Le Journal d'Egypte) ، ثم نبه الأستاذ نجيب شاهين إلى اتصال الرمزية بالتصوف وخروجها عن الوضوح التام (فى المقطم)

ثم فزّ أحد من المتخرجين فى كلية الآداب للجامعة المصرية ومن طلبة العلم فى « جامعات فرنسا » ، وإذا هو يؤلف مقالة عجيبة قد بين مبلغ اضطرابها الأستاذ محمد فهمي فى مجلة الرسالة (رقم ٢٥٦)

والرأى إذن أن للمنشئ عملاً وللناقد عملاً وللعالم ثالثاً ؛ غير أن المنشئ ربما حق عليه أن يؤلف المقالة أو الرسالة فى الكتاب الذى يخرجه دفاعاً عنه أو توضيحاً له ، وذلك ما أقدمت عليه فى مجلة الرسالة يوم آنست من جانب النقاد ميلا إلى إدراج الرمزية المستحدثة التى فى « مفرق الطريق » فى الرمزية الأولى إدراجاً لا استدراك فيه ، فشرحت يومئذ خاصية الرمزية التى فى مسرحيتى وميزتها فى تفاصيلها من الرمزية الأولى

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)